الكنز الذهبي الأموي

للاستاذ ابو الفرج العش
محافظ فرع الآثار العربية والاسلامية في المتحف الوطني

تسامع الناس في دمشق يوم ١٩٥٥/١/١١ أن كنزاً ذهبياً ظهر قرب البيمارستان النوري في أرض السيد أنور ملص حين كان العمال يحفرون فيها . فخف موظفو مديرية الآثار العامة مع رجال الأمن إلى المكان ، ووضعوا أيديهم على الكنز بعد تحريات ناجحة أدت إلى وصول ٥٤٦ قطعة ذهبية على دفعات متتالية إلى المتحف الوطني حتى كتابة هذه الأسطر .

لدى معاينة المكان تبين أن الكنز وجد على عمق ٤٫٣٥ م في إناء فخاري لم يصل إلى أيدينا ، وإنما استلمنا من رجال الشرطة ستة أجزاء صغيرة : أربعة منها تؤلف جزءاً بسيطاً من إناء غير واضح المعالم ، يخمن أنه حوض فخاري للزرائع ، وجزءان من إناءين آخرين لا يمتّان إلى الإناء الأول بصلة . ولدى دراسة هذه القطع الفخارية لم نطمئن إلى قدمها ، ونظن أن جميع هذه القطع ليس لها أية علاقة مع الدنانير الموضوعة تحت البحث . وأشد ما نخشاه أن يكون الإناء الذي كان يحوي الكنز قد سُرق من قبل المارة أو العمال مع شيء آخر من الدنانير الأثرية .

★ ★ ★

بعد دراسة هذه النقود بدا لنا أنها تعود جميعاً إلى العصر الأموي : أقدمها يرجع إلى سنة ٧٨ هـ أي إلى السنة الأولى (١) التي ضرب فيها عبد الملك بن مروان النقود العربية ، بالشكل الذي بقيت عليه بعدئذ .

---

(١) جرت محاولة سك النقود العربية قبل عبد الملك بن مروان : وقد وجدت نقود فضية تعود إلى سنة ٤٠ هـ ضربت في البصرة وهي من عهد علي بن أبي طالب — حسب ماجاء في المصدر — :

M, H. Lavois - Catalogue des monnaies musulmanes de La Bibliothèque Nationales. Paris 1887,

ولكن يبدو أن تلك النقود لم يعم استعمالها بين الناس حتى أن العرب في العهد الأموي كانوا يستعملون النقود الساسانية والبزنطية . وقد كانت تسك تلك النقود خاصة للعرب وتحمل النقود البزنطية عبارة (لا إله إلا الله) وسنة الضرب باللغة العربية كما أن النقود الساسانية كتب عليها باللغة الفهلوية مايشير إلى أنها سكت للعرب.

إن النقود العربية المسكوكة قبل سنة ٧٨ هـ لعبد الملك بن مروان كانت مصورة ويظهر أنها كانت قليلة ؛

ويرجع أحدها إلى سنة ١٠٣ هـ الواقعة في عهد يزيد الثاني ابن عبد الملك . وبعد تصنيفها ظهر لنا أنه يوجد عدد من الدنانير من كل سنة بين سنتي ٧٨ و ١٠٣ هـ دون انقطاع . ومن هنا تأتي أهمية هذا الكنز ، ونعتقد أن المتحف الوطني بدمشق أصبح يملك شيئاً فريداً في العالم . وها نحن أولاء نثبت القائمة الآتية التي تحوي عدد دنانير كل سنة :

السنه	عدد الدنانير	الخليفة
٧٨ هـ	٢٠ ديناراً	عبد الملك بن مروان (٦٥ — هـ = ٦٨٥ - ٧٠٥ م)
٧٩ هـ	٢٨	» »
٨٠ هـ	٢٢	» »
٨١ هـ	٩	» »
٨٢ هـ	١٣	» »
٨٣ هـ	٤	» »
٨٤ هـ	٦	» »
٨٥ هـ	٥	» »
٨٦ هـ	١٢	» » والوليد بن عبد الملك
٨٧ هـ	٦	الوليد بن عبد الملك (٨٦ — ٩٦ هـ = ٧٠٤ — ٧١٥ م)
٨٨ هـ	١٣	» »
٨٩ هـ	١٤	» »
٩٠ هـ	١٨	» »
٩١ هـ	١٨	» »
٩٢ هـ	٢٦	» »
٩٣ هـ	٢٦	» »
٩٤ هـ	٣٢	» »
٩٥ هـ	٣٣	» »
٩٦ هـ	٢٩	» » وسليمان بن عبد الملك
٩٧ هـ	٣٨	سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ هـ = ٧١٥ — ٧١٧ م)
٩٨ هـ	٤٤	» »
٩٩ هـ	١٦	» » وعمر بن عبد العزيز

السنة	عدد الدنانير	الخليفة
١٠٠ هـ	٤٩	عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١ هـ = ٧٢٠ – ٧٢٤ م)
١٠١ هـ	٢٠	« « ويزيد بن عبد الملك
١٠٢ هـ	٢٧	يزيد بن عبد الملك (١٠١ – ١٠٥ هـ = ٧٢٤ – ٧٢٨ م)
١٠٣ هـ	١٨	« «
	٥٤٦ المجموع	

١١٤

★ ★ ★

لقد وزنا النقود جميعاً فوجدنا أن وزنها الاجمالي يبلغ ٢٣٢٧،٠٥٠ غ ، يتراوح وزن النقد الواحد بين ٤،٢٥٥ غ و ٤،٢٩٠ غ ، وبصورة عامة أكثر النقود تزن ٤،٢٧٠ غ تقريباً . نفهم من هذا أن ميزان النقود في ذلك الوقت لم يكن حساساً تماماً لاعطاء وزن واحد لجميع هذه القطع . رب قائل يقول : إن وزن النقد الواحد يختلف بسبب تداوله بين الناس ، ولكننا نظن أنها دفنت منذ ذلك العهد ولم تتداولها الأيدي كثيراً لأن كتابتها بحالة جيدة كأنها خرجت حديثاً من تحت يد السكاك .



رسم مكبر لدينار أموي يعود لسنة مئة يلاحظ فيه بوضوح طريقة الكتابة الكوفية في القرن الأول الهجري .

يميل ذهب هذه النقود إلى الحمرة وهو من عيار ثقيل جداً يقارب عيار الذهب الخالص . ليست أقطار هذه النقود متساوية ، كما أن دوائرها ليست منتظمة ، وتتراوح أقطارها بين ١،٨ سم و ٢،١ سم ؛ وذلك لأن النقود لم تكن آنذاك تصب بقوالب كما يجري في العصر الحديث ، وإنما كانت تضرب الصفائح الذهبية ضرباً بين قالبين محفورين ثم تقص النقود فتأخذ شكلاً دائرياً غير منتظم ، ولا يكون سمكها واحداً ولا أقطارها متساوية .

★ ★ ★

يقرأ على هذه النقود النص التالي :

الوجه الأول : في الوسط : لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

في الهامش الدائري : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

الوجه الثاني : في الوسط : الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد .

في الهامش الدائري : بسم الله ضرب هذا الدينر (في) سنة . . . .

يلاحظ في هذا النص عدم ذكر اسم الخليفة ، ويفهم من هذا الاغفال المقصود معنيان : معنى ديموقراطي بأن الخليفة فرد لا يتميز عن سائر الرعية ، ومعنى تيوقراطي بأن الحكم مردود إلى الله ورسوله . وهناك وجهة نظر أخرى وهي عدم استقرار الحكم نهائياً في بني أمية وعدم رسوخ هذا النوع من الحكم الملكي في العرب ، لذا كان في اغفال اسم الخليفة تفادي الانقسامات والمشاكل .

لقد استمر هذا النص مدة طويلة مع شيء من التغيير بالعبارة حتى أواخر دور القوة في الحكم العباسي : ظل النص مغفلاً من اسم الخليفة حتى عهد المهدي العباسي ومنذ ذلك الوقت أخذ يظهر اسم الخليفة على النقود ، ويمكن تعليل ذلك إلى رسوخ تفكير جديد واتجاه جديد في معنى الحكم ، ذلك هو الاعتقاد بحق الخلفاء الالهي في الحكم . ولم يكن مصدر هـــذا الاتجاه جديداً وإنما انبثق من العقائد الفارسية القديمة ، وظهر هذا التأثير الفارسي منذ عهد المنصور الذي قال(١) : « أنا سلطان الله في ارضه » وجعل نفسه وكيلا عن الله في حفظ خزائنه إذا شاء فتحها أو أغلقها أي أنه لا يحق لأحد أن يناقشه في أعماله .

(١) تاريخ الاسلام السياسي ... حسن ابراهيم حسن . ج ٢ ص ٢٠٥

لما تمزقت الامبراطورية العربية الاسلامية ونشأت الدويلات المرتبطة بالدولة العباسية أو الخارجة عليها ، صار يظهر مع اسم الخليفة أسماء أمراء وملوك هـذه الدويلات إذا ظلوا على ولائهم أو ينفردون بذكر أسمائهم إذا كانوا منفصلين انفصالاً تاماً كالفاطميين والأمويين في الأندلس ... ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل صار يظهر اسم المتنفذ في بغداد نفسها على العملة مع اسم الخليفة .

يجب أن ننبه إلى أن مكان ضرب النقود مغفل على الدنانير الاموية مع أنه مذكور على العملة الفضية . نعتقد انه يمكن أن نستنتج من هذا ان الخليفة كان يسمح لولاته أن يسكوا العملة الفضية دون الذهبية في ولاياتهم . والذي يحملنا على تبني هذا الرأي أن الخطاط الذى حفر القوالب المتعددة لضرب النقود في سنة واحدة أو سنوات متتالية كان واحداً . وسيأتي ذكر الكتابة على النقود بعد قليل . ويمكن أيضاً أن نأخذ برأي آخر : وهو ان إغفال مكان الضرب كان للاختصار لأن مساحة الدينار/ أصغر من مساحة الدرهم ، لذا ذكر على الدرهم عدا مكان الضرب جملة (ولو كره الكافرون) تتمة الآية الكريمة المذكورة على الهامش ، كما نزيد (لم يكن له كفواً أحد) على الآيات المكتوبة في الوسط .

لقد اختلف النص في النقود الموضوعة تحت البحث بوضع كلمة (في) قبل ذكر سنة الضرب في السنوات الأولى : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ هـ فقط [الصف (١) الصورة (٦)] ثم حذفت هذه الكلمة في جميع السنوات الباقية [الصف (٢) الصورة (٦)] .

* * *

اذا تأملنا الكتابة العربية على هذه النقود نجد أنها ناضجة التطور ، ولم يختلف رسم الحرف في ذاك العصر عن العصور التالية إلا اختلافاً بسيطاً : مثلاً الحاء كانت ترسم مفتوحة بكثرة (ـحـ) وقد ترسم خطاً مستقيماً مائلاً إذا أتت بين حرفين كما رسمت في كلمة (محمد) . وترسم الكاف المتطرفة في آخر الكلمة كالكاف المتوسطة على الشكل (ـكـ) . وترسم العين المتوسطة والمتطرفة دون وصل نهايتها العليين كذا (ـعـ ، ـع) . وترسم الصاد على الشكل (ـصـ) أي أن السن لاصق بطرف الاستدارة البيضوية . وترسم الدال على الشكل (ـد) أو الشكل (ـد) وترسم الميم مختصرة على الشكل (م) . وصفوة القول ان الخط العربي اذ ذاك لم يكن فيه ليونة بل تغلب عليه الخطوط المنكسرة ، الا أننا نلاحظ فيه دقة وقوة وذوق لطيف . والخط المثبت على هذه الدنانير يعتبر بين الخط النسخي والخط الكوفي . ويلاحظ أن بدء الحروف ونهاياتها العليا متضخمة كأنها

نقط كبيرة في نقود السنوات (١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣) وقد يصح أن نسمي هذا النوع من الخط (الخط المنقط) . [الصورة (٧)]

اما من حيث تنقيط الحروف ، فان العرب كانوا يستعملونه في ذاك العصر ، ويعود الفضل في ذلك الى الحجاج ، لكنهم كانوا لا يلتزمون استعماله على الدوام بل عند تفادي الالتباس : لذا رأينا على الدنانير العائدة للسنوات (٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨) نقطتين تحت ياء كلمة (يولد) [الصف (١) الصورة (٨)] ؛ ورأينا على دنانير سنة (٨٥) — النقطتين تحت ياء كلمة (يلد) [الصف (٢) الصورة (٨)] ؛ كما رأينا نقطة تحت باء كلمة (سبع) في دنانير سنة (٨٧) فقط ، ولم توضع النقطة تحت باء كلمة (سبع) في دنانير سنة (٩٧) [الصف (٣) الصورة (٨)] ؛ ووضعت أيضاً نقطة تحت باء كلمة (ضرب) على دنانير السنوات (١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣) [القسم الايمن من الصورة (٩)]

هذا اذا أراد الخطاط العربي أن يستعمل التنقيط ، لكنه اذا زهد فيه ، فانه يحتال في اظهار الفرق بين الحروف المتشابهة كأن يرسم الكلمتين المتشابهتين بشكل لا يؤدي الى الالتباس كما فعل في رسم (سبع) و (تسع) ؛ فقد أمال اسنان السين وأوقف سن الباء أو التاء [الصف (٥) الصورة (٨)]

أما من حيث الاملاء ، فان النص لا يسمح لنا الا بملاحظتين فقط : الاولى عدم اثبات ألف الوصل في كلمة (اثنتين) في الدنانير الحاوية عليها في سنوات (٨٢ ، ٩٢ ، ١٠٢) [الصف (٤) الصورة (٨)] ، والثانية عدم رسم حرف المد (الألف) في كلمة (الدينر) . ونحن لا نزال نرث بعض الكلمات التي لاتزال ترسم بدون الف مثل كلمات (إله ، الله ، هذا ...) ، كما نرث أيضاً اهمال رسم الف الوصل في التركيب (بسم) لأن هذه الكلمات أكثر ما تستعمل في الكتب الدينية التي تعتبر أكثر محافظة على القديم وأعسر انقياداً للتجديد ، لذا اصل استعمالها ، وما أحب واضعو قواعد الاملاء تبديلها فبقيت شواذ معتبرة حتى اليوم .

* * *

اذا دققنا هذه النقود لنعرف أكانت الدنانير العائدة لسنة واحدة من ضربة واحدة أم من عدة ضربات ؟ — في الواقع كنا نحسب أن أغلب النقود العائدة لسنة واحدة من ضربة واحدة ، وكنا نتلمس أن نعثر على دينارين من ضربتين مختلفتين ، وما كان اشد عجبنا عندما لم نستطع أن نجد دينارين أو ثلاثة من ضربة واحدة الا بعد عناء كبير ، وكل دينار يختلف في طبعته عن بقية الدنانير المضروبة في سنة واحدة . ولقد جمعنا بعض الدنانير ذات الضربة الواحدة في الصورة (٩) ونلفت النظر أيضاً الى أن الدينارين الظاهرين في الصف (٣) من الصورة نفسها لهما وجه من ضربة واحدة ووجه آخر

من ضربتين مختلفتين ، أما الدينارين الظاهرين في الصف (٢) فوجه واحد من نفس الطبعة والوجه الآخر من ضربتين متقاربتين .

إذا أردنا ان نفسر هذه الظاهرة نقول : ١) ربما كانت المادة التي تحفر فيها الكتابة على القالب لينة كأن تكون من الرصاص أو قابلة للتآكل ، فلا يمكن الاستمرار بضرب عدد كبير من الدنانير . والذي يحملنا على هذا الاعتقاد وجود عدد من الدنانير المطموسة التي لا يعود عدم وضوحها الى كثرة التداول بل الى ضربها ، بينما توجد دنانير شديدة الوضوح ، مما يدل أنها كانت أسبق في خروجها من بين القالبين الجديدين .

٢) بعد تعريب العملة واتساع الحركة الاقتصادية أصبحت الكمية اللازمة من النقود كبيرة جداً ، فاقتضى ذلك أن يصنع عدد كبير من القوالب لتفي بالحاجة .

٣) تذكر كتب التاريخ أن الخلفاء كانوا يسمحون لولاتهم أن يسكوا العملة في ولاياتهم ، ترى أكانت هذه الدنانير مسكوكة في عدة ولايات أم انها مسكوكة في مدينة واحدة ؟ — تبين لنا من دراسة هذه النقود أن الكاتب الذي حفر القوالب في سنة واحدة أو سنوات متتالية كان واحداً ، ولأول وهلة يحسب الناظر أن الدنانير العائدة لسنة واحدة أو سنوات متتالية كأنها من ضربة واحدة . لذا نستبعد أن تكون هذه الدنانير مسكوكة في ولايات متعددة .

وهنا يجب أن نتساءل : هل كان من المصادفة ان تكون هذه المجموعة التي نملكها مضروبة في مدينة واحدة ولم يكن ضمنها ما هو مضروب في ولايات أخرى ، أو أن الخليفة كان يسمح بضرب العملة الفضية [1] فقط في الولايات ويقصر سك العملة الذهبية على العاصمة فقط ؟ — في الواقع ان اغفال مكان الضرب على الدنانير ، وتشابه الخط في الدنانير العائدة لفترات : كلا الامرين يحملنا على ترجيح اقتصار العاصمة على سك النقود الذهبية . وسنظل نرجح هذا الرأي حتى نعثر على آثار أو وثائق تحملنا على تبديله

وما دمنا نتحدث عن تشابه الخط في السنة الواحدة أو السنوات المتتالية ، فلا بأس من أن نقارن بين خطوط الخطاطين الذين كتبوا هذه الدنانير : نلفت النظر الى الصورة (٧) التي تعطينا في الصف الأول نموذجاً عن خط خطاط مارس العمل في السنوات (٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠) . ونموذجاً ثانياً عن خط آخر في الصف الثاني في السنوات (٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤) ، ونموذجاً ثالثاً في الصفين الثالث والرابع للسنوات الكائنة بين سنتي (٩٢ — ٩٩) ، ويوجد نموذج رابع في السنوات (١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢

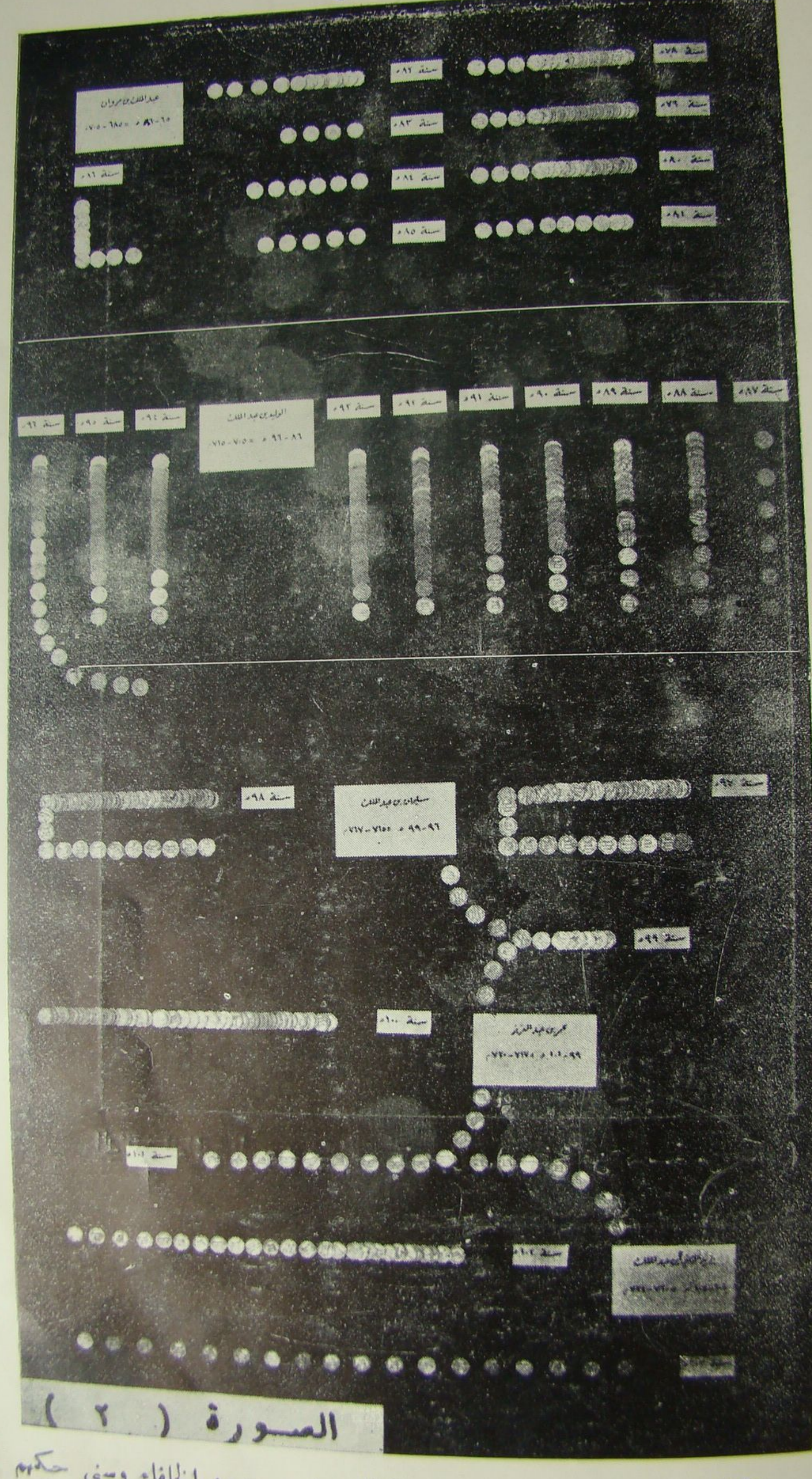
(١) كنا ذكرنا عند دراسة النص في أول هذا البحث أن العملة الفضية تحمل اسم المدينة التي ضربت فيها ، أما العملة الذهبية فانها مغفلة من ذكر مكان الضرب .

١٠٣) يمكن ان تراه في الصورة (٩) . نلاحظ في النموذجين الاول والثاني أن الخط كان يميل الى النعومة ، بينما نرى غلظة خط النموذج الثالث ودقة ومتانة الخط في النموذج الرابع ، وقد اتبع الخطاط فيه أسلوباً معيناً — ذكرناه في مكان آخر — هو تضخيم بدايات ونهايات الحروف العالية التي تبدو كأنها نقط .

* * *

ولا بأس أن نختم البحث بالاشارة الى ملابسات دفن هذه النقود في المنطقة التي وجدت فيها . لقد ذكرنا في مطلع البحث أنها وجدت على عمق ٣٥و٤ م من مستوى الارض الحالي ، ولا بد أن الذي طمرها كان من العصر الاموي نفسه ، لاننا لم نعثر على نقد واحد من غير ذلك العصر ، ولا يمكن أن يكون ذلك اتفاقاً لأننا وجدنا عدداً من الدنانير من كل سنة بين السنتين ٧٨ و ١٠٣ هـ كما ذكرنا آنفاً . وان العمق الذي وجد فيه الكنز يجعلنا نقبل أيضاً أن يكون الطمر من العصر الاموي ، ولا بد أن صاحبها دفنها على عمق متر أو أقل من سطح الارض في ذلك الوقت ، وان ارتفاع مستوى الارض بسبب التراكمات العديدة خلال الاجيال حتى يومنا هذا يمكن أن يقدر بثلاثة أمتار ونيف . لذا نقبل أن تكون هذه النقود دفنت من العهد الاموي . كان صاحبها — حسب ما يبدو — يتحرى نظافة النقود المدخرة لانا وجدناها جميعاً بحالة حسنة . ولعل صاحبها توقف عن الادخار في سنة ١٠٣ بسبب موته أو انقطاع رزقه ، وربما عاش هذا الاموي حتى أيام الفتنة الكبرى وبقي كنزه مجهولاً بسبب مقتله في الانقلاب العباسي .

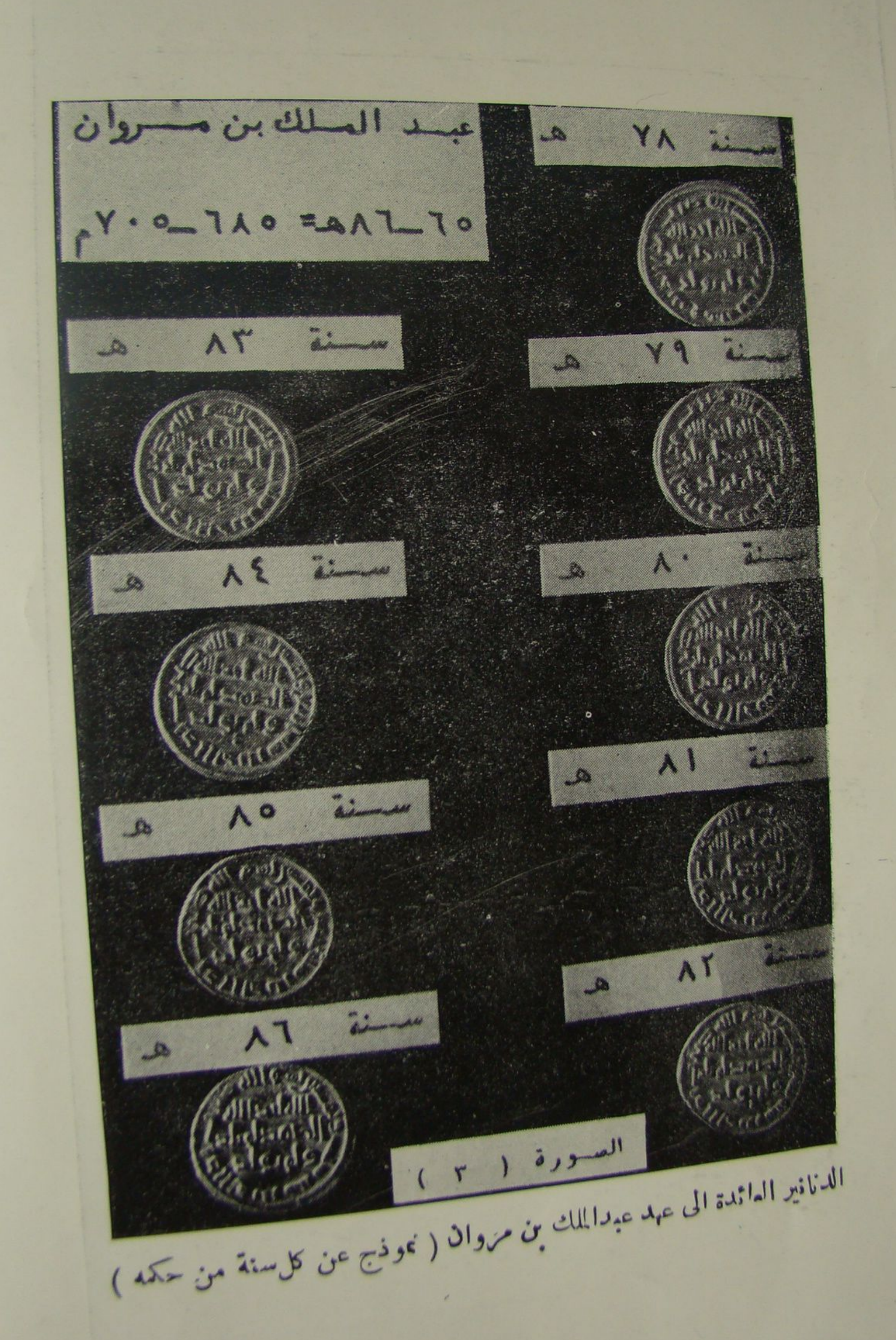
م . ابو الفرج العش



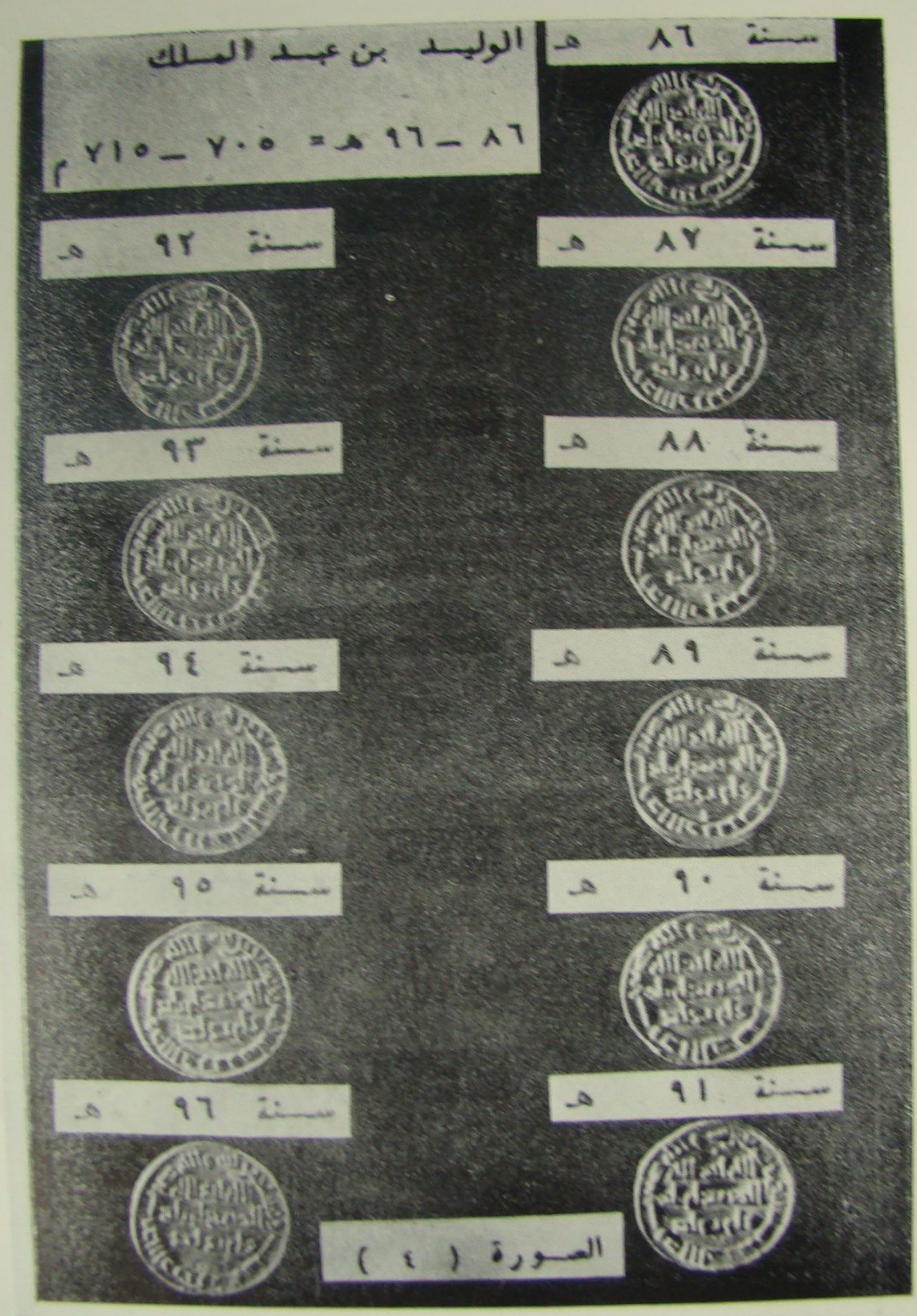
الصورة (٢)

صورة الكنز الأموي الذهبي وقد صنفت الدنانير بحسب عهود الخلفاء وسني حكمهم

اللوح - ٣ -



الدنانير العائدة الى عهد عبدالملك بن مروان (نموذج عن كل سنة من حكمه)



الدنانير العائدة الى عهد الوليد بن عبد الملك (نموذج عن كل سنة من حكمه)

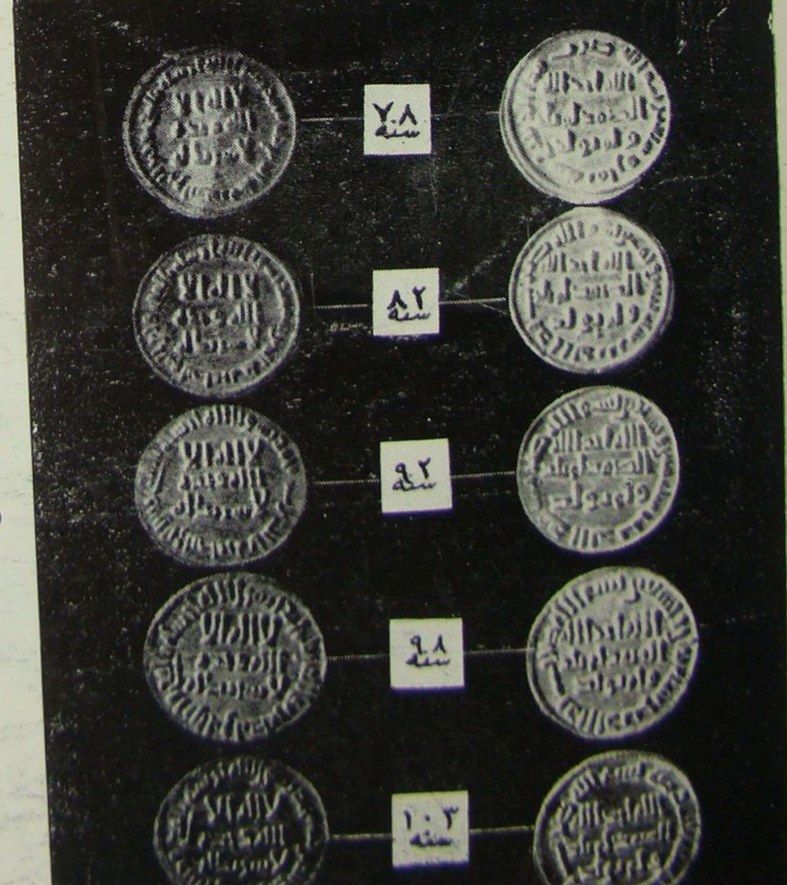


الدنانير العائدة إلى عهود الخلفاء سليمان بن عبد الملك ، عمر بن عبد العزيز ، يزيد بن عبد الملك
(نموذج عن كل سنة من حكم كل منهم)



الصورة (٦)

اختلاف النص المكتوب على الدنانير الأموية بزيادة كلمة (في) في السنوات ٧٨، ٧٩، ٨٠ هـ وحذف هذه الكلمة بعد سنة ٨٠ هـ



نماذج من الخطوط المثبتة على الدنانير يلاحظ فيها اختلاف الخط مما يدل على تغيير الخطاط بين فترة وأخرى .



الصورة (٨)

ملاحظات على استعمال التنقيط وإهماله في الكتابة على النقود الأموية مع بعض قواعد الإملاء. ←

الدنانير المضروبة في قالب واحد أو التي ضرب أحد الوجهين في قالب وضرب الوجه الآخر في قالب آخر حسبما هو مبين. ↓



الصورة (٩)

اللوح – ٧ –



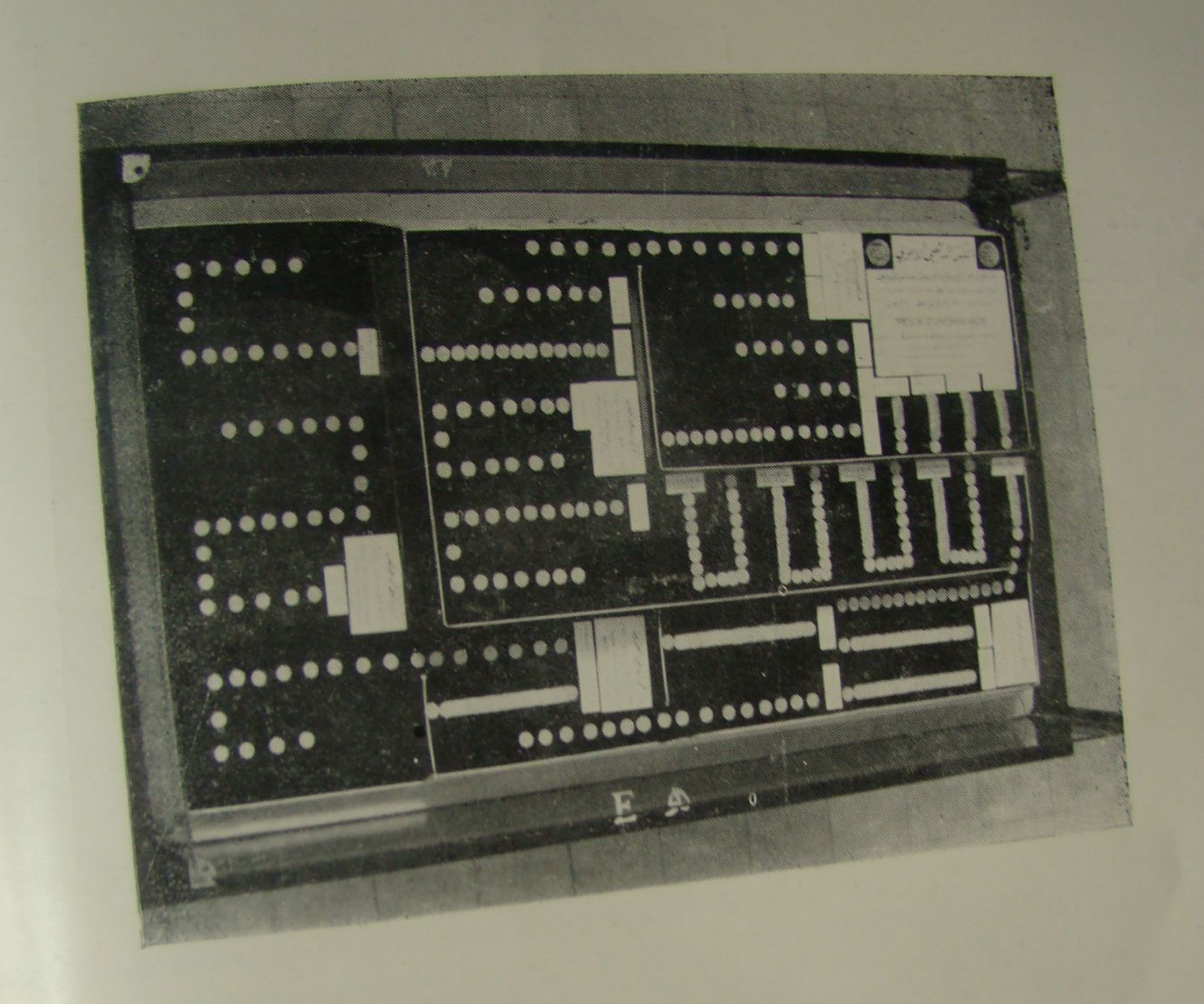
الصورة (١٠)

هذان ديناران يعودان إلى سنة ٧٨ هـ
يلاحظ ان الخط واحد والكاتب واحد
ولكن لا تنطبق الكتابة على بعضها البعض
مما يدل أن لكل وجه قالب خاص للضرب.

الصورة – ١

تمثل هذه الصورة موضع وجود الكنز الذهبي . وهو
امام الفلاح الظاهر في الخندق مباشرة ينخفض الموضع
عن مستوى الطريق اربعة أمتار ونيف .

اللوح — ٨ —



صورة الكنز الذهبي الأموي كما عرض في معرض المكتشفات الأثرية الثاني لعامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥